ثانية ماستر	مقياس: النظريات الدلالية	التطبيق 01	الأستاذ: محمد فارح

الجهود الدلالية عند إبراهيم أنيس:

تحدث الدكتور إبراهيم أنيس حول مسائل متعددة في كتبه، ومن أشهر تلك التي تناولها مباحث لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، وذلك في مواضع مختلفة في مؤلفاته، ومن أهم تلك القضايا الدلالية التي تستحق الوقوف عندها نجد:

أولا–الدال والمدلول:

وهذه المسألة كما يعلم الدارسون أنها مسألة قديمة حديثة لا تزال تثير النقاشات حول العلاقة بين الدال ومدلوله، وقد تحدث إبراهيم أنيس حول هذه العلاقة بعدما عرض لنا مجموعة من الآراء للقدماء وأخرى للمحدثين مظهرا بذلك الخلاف في هذه المسألة، وذهب الباحث إلى أن العلاقة بين دال ومدلوله هي علاقة اعتباطية، مشيرا للأدلة التي انتصر بها أصحاب هذا الرأي قائلا:

"وصارت الغلبة لأولئك المعارضين في مبدأ الربط بين الأصوات أو المدلولات وتكاد تنحصر أدلتهم فيما يلي:

–إن الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة قد تعبر عن عدة معان، وهو ما نسميه بالمشترك اللفظي ولا نستطيع إنكاره أو إهماله.

–إن المعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات، وهو ما يسمى الترادف.

–إن الأصوات والمعاني تخضع للتطور المستمر على توالي الأيام، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعاني سائدة، كما قد تتغير المعاني وتظل الأصوات على حالها."

كما أشار الدكتور إلى أنه من العبث البحث عن الصلة التي تجمع بين الدال والمدلول الضاربة في الزمن السحيق، ومحاولة بناء فرضية مفادها أن المتكلم الأول راعى هذه الصلة بين الدال والمدلول لوضع الملفوظات.

ثانيا-التطور الدلالي

تحدث إبراهيم أنيس في كتابه دلالة الألفاظ حول موضوع التطور الدلالي واستطرد فيه وعقد في كتابه ثلاثة فصول كاملة حوله، وذهب إلى أن التطور الدلالي ظاهرة منتشرة في جميع اللغات وأنه ظاهرة طبيعية جاءت استجابة للضرورة الملحة التي تحتاجها اللغات في حياتها وازدهارها.

ويرى أبراهيم أنيس أن الأسباب التي أدت إلى التغيير الدلالي تتمثل في:

1-الاستعمال:

يقول الباحث: "إن الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور، فيراها الناس من وراء تلك الخزائن، ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة، ولو أنها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلا بعد جيل دون تغيير أو تحويل، ولكنها وجدت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها حياتهم الاجتماعية" يرى إبراهيم أنيس أن اللغة وجدت للاستعمال والتداول، وهي وسيلة ليعبر بها الناس عن حاجاتهم ومكنوناتهم، ولما كانت كذلك فإن التغيير والتحول سيمسها ما دامت في حال الاستعمال والتداول.

ويندرج تحت هذا السبب عوامل أساسة هي:

أ-سوء الفهم:

يقول بأن هذه التجربة يمكن أن يمر بها أي شخص، وذلك حين يسمع اللفظ للوهلة الأولى، فيسيء فهمه، فيرسخ في ذهنه دلالة غريبة ثم لا تتاح له الفرصة مرة أخرى لتصحيح خطئه، ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطا بتلك الدلالة الجديدة، وليس من الضروري أن تندثر الدلالة الأصلية أو تفنى من الوجود، بل قد تبقى جنبا إلى جنب مع تلك الدلالة الجديدة، فيخيل للناس بعد ذلك أن للفظ دلالتين مستقلتين.

ويدلل لنا الباحث في هذا الباب أن هناك ألفاظ عربية كثيرة نرى كلا منها يعبر عن دلالات متباينة لا ارتباط بينها ولا وجه شبه فيها، حيث تؤكد لنا المعاجم العربية أن كلمة "الأرض"

تعني الكوكب المعروف، وتعني أيضا "الزكام"، وحين يقال لنا أن كلمة "الليث" هي الأسد، وهي أيضا "العنكبوت" لا نكاد نجد تفسيرا معقولا إلا بالالتجاء إلى هذه الطفرة الدلالية والتي تتشكل من خلال سوء الفهم.

ب-بلى الألفاظ:

عده الدكتور إبراهيم أنيس أنه عنصر مهم من عناصر الاستعمال وذلك حين يصيب اللفظ بعض التغير في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته، فتختلط الدلالتان، ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي، فتطور السين في كلمة مثل السغب إلى حرف مناظر لها في المخرج والهمس كالتاء ينتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل كلمة التغب والتي تعني الدرن والوسخ.

ج-الابتذال:

وهو العنصر الثالث من عناصر الاستعمال، وذهب الباحث إلى أن الابتذال يكون بسبب الظروف العسكرية ممثلا لذلك بالألقاب والرتب في مصر، فألفاظ مثل (باشا، بك، أفندي) وغيرها من ألقاب تركية طرأ عليها التغيير وانحط قدرها على توالي الأيام، فصارت كلمة أفندي في آخر عهدها ذات قدر تافه، وأصبحت أقل الرتب بعد أن كان لها خلال القرن التاسع عشر مركز هام ومكان مرموق. وأن كلمة الوزير العربية أصبحت في الإسبانية لا تعني أكثر من الشرطي. ويمكن أن يقال ذلك على كلمة الحاجب التي كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء ثم صارت على النحو المألوف الآن.

2-الحاجة:

وهذا العنصر كما يقول الباحث أنه "يكون وليد الحاجة إلى التجديد في التعبير، وهو الذي يقصد إليه قصدا، ويتم عن عمد في ألفاظ اللغة." فإذا كان النوع الأول يقع دون قصد من الجماعة اللغوية ودون وعي منهم أحيانا فإن هذا يقع بقصد وبوعي منهم، بل يعمدون إليه في بعض الأحيان وذلك ما يسمى بالحاجة.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الحاجة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويكون ذلك من خلال المجمع اللغوي الذي يحاول وضع كثير من الألفاظ التي تسد حاجة المجتمع في النواحي المختلفة، ففيه لجان لألفاظ الحضارة، وأخرى لكل أنواع النشاط الاجتماعي والعلمي والسياسي والاقتصادي مما تتطلبه النهضة العربية الحديثة. فالتطور العلمي والاجتماعي يوجب على المجتمعات أن تتحدث بألفاظ جديدة وذلك وفقا للتطورات الحاصلة وحتى لا تتخلف الأمة العربية عن ركب الحضارة والالتحاق بالأمم.

ويكون ذلك إما بإحياء ألفاظ عربية قديمة والتي تحمل دلالات اندثرت، أو بالاستعارة من اللغات الأجنبية الأخرى.